8
2022

مقاربة الرؤية من منظور مختلف

في النفس والحياة...

مَنْ أبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ

عدد 8

2022

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

سُرّ ما خُطّ

صـــادق السامرائـــي

كلمات مكتوبة فوق مياه نهر السين الفرنسيّ الدافق بالجمال
هي سلسلة خواطر وتداعيات إنشائية في خيالي وما وجدتُ بدا من تدوينها
أمواج نهر السين ألهبتْ ذكرياتي فوق مياه نهر دجلة الذي كان يجري بتؤدة حضاري هدّار

سُـــــرَّ مـــــا خَطـــــرْ !!

1

النهر يسقيه المدّ ملحا , وتختلط الأمواج على وجهه برياح الإصرار , إنه يجري نحو بحر المانش , لكنه يغص بمياه البحر إلى نصفه.

كيف يحمل النهر أعباء بحرٍ كبير؟!

تجمعني الأحلام على ضفاف نهر السين , بمدنه وطاقاته وقدراته الإبداعية الخرافية , وإنطباعيته وتعبيريته , وآفاق أعماقه المنعكسة في مرآة الوجدان , حيث تتسلل الأفكار كقطرات المطر في خلجان الخيال.

آهٍ يا وطني
على ضفاف النهرين
أمةٌ بلا عينين!!

بشرٌ أحرق وجوده
وتأريخه

قتـــــيـــــة الأطـــــيـــــار عـــــنـــــي...

فشدا الجرح أنينا ... يا بلادي!!

بنزوة جنون كرسوية
فهوت الأخلاق والقيم
وضاعت المسؤولية!!
للنوارس ألحان وأنغام معزوفات موجية
المنظر يكتب سمفونية الخلود
على سطور الأعماق الإبداعية!!

قالت الموجة: أين وطنك ونهريك؟
فحدقت روحي بعيونها
فأدركت ان الوجود تراب وماء
ونبهني ضوء الشمس المنبعث من أحداق الأمواج!!

كانت الأمواج تحملني برأفة
وتداعب أوتار روحي
فأصيخ السمع لموسيقى ذاتٍ مذبوحة
وأناشيد أعماقٍ محروقة!!

قالت الأطيار غنيّ
فشدا الجرح أنينا
يا بلادي!!

2

نهر السين , يذكرني بدجلة الحزين , والفرات الغارق بالأنين!!
نهر السين , يبكيني , لأنه يُشعرني بقسوتنا على الأنهار,
وعدوانيتنا على الطبيعة والحضارة والتأريخ!!
ويشعرني بأن النهر مرآة الأجيال!!
فإن صحَّت الأجيال وفاضت بالمحبة والجمال
والإبداع والعطاء,
فإن النهر يتناغم مع إرادة الحياة القائمة فوق أرضه!!

كانت النجمة مبتسمة
لكنها تجهمت عندما أبصرتني
فسألتها: لماذا أنتِ عابسةٌ بوجهي؟
قالت: أنت من بلادٍ تمتهن النهرين
وتقتل النخيل والأطيار والألوان
أنت من بلدٍ فيها لون واحد
جشع يمتص جميع الألوان
فلا أريد لوجهك أن يمتص إشراقتي
من أين جئت؟
أنت زائرٌ غريب!
قلت: أيتها النجمة , أنا عاشق ولهان

قالـــــت:تعالـــــي حتى نتحدث مع أمـــــواج نهر ديـــــالى!!

وكيـــــف تقـــــرأ مـــــا تكتبـــــه علـــــى ضفافهمـــــا

أحب الأنوار والأنهار والأشجار
فشاركيني في لحن المتعة
وأنغام الشعور بالوجود وصدق الحياة
صمتت النجمة
وغبت في صمتٍ عميق!!

رأيت خيال موجة تختزن طاقات عصور
وقرأت أفكارها المبثوثة كالندى على بدن الرياح
واستنشقت عبقها
وتنعَّمت بعطرها
وذبت في دنياها
فقالت: ماذا تريد؟
قلت: إن العراق يريد!!
قالت:تعلم كيف تتكلم مع أمواج نهريك!!
وكيف تقرأ ما تكتبه على ضفافهما
فأنتم تعيشون أمية مائية
وتجهلون مسيرة النهرين
فهل تتعلمون؟!!

3

وعندما أخذت أفتش عن أنهار طفولتي وصباي

كان النهر يجري في سامراء , والأيام تتناغم مع ألحان الجريان , وتتنفس مع الأمواج.

والشمس تتضاحك عند الغروب

والأطيار تزدحم مصدحة في غابات القصب الخضراء

والأسماك تتقافز

وأناشيد الصيادين تخترق صمت المساء الجميل

وتلونه بالعذوبة والأمل

وتطعمه نبيذ الحياة

وعندما أخذت أفتش عن أنهار طفولتي وصباي

وجدها أرضا جدباء!!

بعد ربع قرن

رحت أبحث عن كهف القاطول الذي كان

صاخبا بالحياة والأطيار والصخور الشامخة

المسرورة بقبلات أمواج الماء

ونسمات الهواء العبقة

ومضيت أحدق بوجودٍ يائسٍ بائسٍ

فانهالت الذكريات

وإنبثق نزيف الأيام من أبهر

وعي الذات والمصير

وجدتها أرضاً جديدة!!

أين السن العالي؟

أين السن العريض؟

أين ملامح ذلك الكهف البهيج؟

تساءلت وأنا أوّدع مرابض روحي

وينبوع إدراكي وعناصر أفكاري

وفضاء خيالي؟!

نهر السين أثار ذكريات عقود

إنسكبت كالشلال في خلجان وجودي

فاندلقت الأيام من مكامنها المجهولة

ووجدتني أسبح في الماء

وأقفز من أعلى صخرة

وأصيد الأسماك والأطيار

وأجالس الغروب في بلم (سيد مصطاف)

وأتنعم بمساءات فياضة بالهدوء والغناء

وموسيقى أمواجٍ حالمة

وتغاريد أطيارٍ عاشقة

وأعبق نسمات عصور وأفكار دهور!!

4

وأجدني اليوم بلا نهر تواق الأنغام

كان لدجلة نبض دفاق في أعماقي
وكانت أمواجه أغنيات
تتردد في خيالي
وتتخلق أشعاراً وأناشيداً
وأجدني اليوم بلا نهر تواق الأنغام
وفي روحي نداءات أشواق ورحيل

وما تغيّرت ذاكرة المكان
فهو موجود في مسلة الرؤى
ومعلقات الخلود
فلن تقهر الذاكرة المتيمة بالحياة
عواصف رمالٍ صيفية!!

ضفاف النهر ذات جمال أليم
لحضور ضفاف النيل والنهرين
فلا يمكن المقارنة ما بين الحالتين
ضفاف النيل بائسة
والنهرين حزينة باكية
وهنا ضفاف تقهقه من فيض البهجة والسرور
وتدفقات الحياة المتنوعة

وفـــي روحـــي نـــداءات أشـــواق ورحيـــل

وروافد الأفكار المتوجة بجواهر الجمال
وألوان الإبداع والبناء الزاهي بالفن
المتوافق مع زهو النهر وكبرياء روعته
وسطوة بهائه وفتنته الأخاذة!!

كأن النهر يراقبني بعيون الدهشة والإستفهام
ويتساءل عن هذا الزائر العجيب
الذي لا يعرف الإبتسام للأمواج
ولا يفهم لغة الفن والجمال
وشعرت بأنه يحسبني بدوي صحراوي
يجهل معنى النهر
ولا يمكنه أن يقرأ أبجديات أمواجه
ولغات جريانه
وأناشيده الصداحة على أكتاف المياه!!

كان النهر سعيداً
ودقات قلب الزائر الغريب
مضطربة الخفقان
فما تعودت أن تكون في نهر متواصل الإبتسام!!

5

لماذا ما عاد التأريخ يمشي في شوارعنا؟

كان شارلمان وهارون الرشيد يتبادلان الهدايا
واليوم أجد في فرنسا ما يشير لذلك العصر
وفي بغداد إنمحقت العصور
وغاب التراث ولإندثرت الآثار
فلا هارون ولا مأمون
فلماذا تقطعت أوصال وجودنا
وتفاعلت إرادة وجودهم؟

أين ماضينا
وحاضرنا
ومستقبلنا
أبعاد الزمن نختصرها
بما مضى وما انقضى!!

سألتْ شوارع باريس عن أحوال شوارعنا
فتجهم وجه شارع الشانزليزيه
وإرتعبت أعمدة العمران العتيقة الجديدة
وسألتني عن شارع الرشيد
فرأيتني صامتا
متوجعا من العدوان على الهوية والتأريخ!!

لمـــاذا أنجبنـــا أعـــداء وجودنـــا؟

لماذا ما عاد التأريخ يمشي في شوارعنا؟
لماذا أنجبنا أعداء وجودنا؟
ولماذا نتمتع بالأضاليل الرائجة؟

البطولة هنا
والأزمان شامخة
ترفرف راياتها على رؤوس الأشهاد
ورجالات مسيرة الأجيال
حاضرون بعنفوان إرادة زمانهم
فلماذا عقرنا إرادة أزماننا؟
يؤمنون بذاتهم ودورهم
ويعشقون طاقات الإنسان
الأصيل الرؤى
وينهلون من نهر الأمجاد!!

6

أتجول في مدينة (هنوفر) الفرنسية القديمة كمدينة سامراء
لكنها تحتفظ بآثارها ودلالاتها التأريخية البعيدة
إنهم يصونون تأريخهم , ونحن نهدم تأريخنا
هنا بيوت سحيقة القدم

إنهـــم يحاولـــون تأريخهـــم , ونحـــن نعيـــد

وكنائس غابرة التأريخ
وطرز عمرانية ترقد على وسادة عشرات القرون
وأزقة ودرابين
إن فيها كل ما كان عندنا
لكننا فقدنا ما عندنا
وأداموا ما عندهم
لأنهم يفكرون ويبدعون
ويحترمون ترابهم وأجيالهم
وينطلقون بمناطيد أفكارهم
إلى أبعد من المكان!!
ما وجدت في مدينتي ما كنت أعهده في صباي
فقد ذهبت المعالم وغابت الموجودات
لا نهر , لا مكتبة , لا نادي
لا سوق , لا بيوت كنت أعرفها
كل شيئ إنجرف
وأخذته سيول الجهالة
وتيارات الإهمال والنكران
إلى وديان النسيان
فكانت ذاكرتي بلا عنوان!!

أعجبني الإنسان الذي يعشق أرضه

هنا بيروت سيدتي القديمة

ويطلق ما فيه من روائع الفتنة
ويزرعها خالدة في المكان
وأدركت ان الوجود الحقيقي
لا يمكنه أن يكون
إذا تجرد من العشق الخلاق
لأروقة الذات المبذورة في تربة المكان!!

كان صديقي يحدثني عن الغرام
وحسبته يتكلم عن حبيبة آدمية
لكنني عرفت بأنه
يريد التعبير عن هيامه بسحر
الأرض وبروعة المشاهد
وتموجات الأيام
على أفق الصباح الساحر بالألوان!!

7

الشعوب تحوّل أنهارها إلى تيار إقتصادي فياض متجدد متنامي
وتستثمر في ضفافها ومياها
وتتفنن بقدرات الجمال والكمال والبهاء
بينما نحوّل أنهارنا إلى فمٍ للنفايات
ومستودع للمجاري والمياه الثقيلة!!
أ لمْ أقل لكم:
نضيعُ عندما نؤذي أنهارنا ونهملها ونؤلمها

بطاقاتنا التخريبية وإرادتنا التدميرية!!

فكيف أوجعنا دجلة والفرات

وما هو حي ويجري بقربهما؟!

النهر حضارة وقوة وثروة

وشريان بلادٍ أبهر

وبسمة أيامٍ ومنبع حياة وعطاء!!

النهر قلب المدينة

وتتوافق عظمتها معه

وتزدان المدن روعة عندما ترعى أنهارها

وتحترمها وتعزها

بل وتقدسها

وتصنع طقوس تفاعلها معها!!

الأنهار طاقات كونية

ومَن لا يحترم أنهاره

لا يحترم نفسه وتأريخه

ولا يعرف أصله وجوهر هويته

والشعوب التي تعادي أنهارها

تستحضر عناصر البلاء والضياع

ومَن لا يجري بسرعة جريان نهره

ومَن لا يجري بسرعة جريان نهره

يكون من المعوقين حضارياً

يكون من المعوقين حضاريا
ومُلقى على قارعة طريق النسيان
فالنهر هو الأصل والعنوان
مهما تداولت الدهور
وتوافدت الأزمان
فاعرفوا أنهاركم لكي تحققوا وجودكم!!

8

قلت: ما عاد ثمة العلاقة ما بيننا علاقة حبٍ بحبٍ

كنت أتأمل أمواج نهر السين بدموعي
وأخاطبه بجراحي وآلامي
وأبثه حسراتي وأحزاني
فيسألني عن أخويه النهرين
فينبثق الصمت
ويحدق بوجهي مذهولا
فأقول له: إنهما يئنان من الجراح
ويسألني مرة أخرى؟
فأجيبه: لا يمكنني أن أجالسهما , كما أجالسك
ونحن في منتصف الليل والقمر ثالثنا
إنهما يعانيان من رعب الأيام
ومن الألم والصدمة والدهشة الحضارية العظمى
فغاض الماء وأبى أن يسقي الويلات!!
فهل تسمع ما أقول؟

قال السين: أيها القساة كيف لا تراعوا حقوق أخويَّ
اللّذين يحملان رسالات العصور
ويشهدان على مسيرة الإنسان منذ أول أن كان؟
فقلت: لا أملك إلا الحسرات
التي تتحاشاها الأمواج
قال: كيف تدّعون الحياة وأنتم لا تُكرمون النهرين؟
قلت: ما عادت العلاقة ما بيننا علاقة حي بحيّ
فالجهل خطف منأ ما فينا وحوّل رؤانا إلى بهتان!!

قال السين: عُدْ إلى نهريك , فأن القوة والحياة والحضارة فيهما!!

سَمِعتُ صراخ النهرين
على ضفافٍ ذات وجنتين
وتحسست دبيب الروح
في عروق الصخور
وطربت لرقصة موجة عارية
راحت تتمايس كأنها حورية
ذات جمال برّاق
وعندما إقتربت من حسنها
غابت في موجةٍ متأهبةٍ لرقصةِ إشراقٍ جديدة!!

فالجهـــل خطـــف منـــأ ما فينـــا وحـــوّل رؤانـــا إلى بهتـــان!!

إصـدارات مؤسســة العلـوم النفسيـة العربيــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2022

مقاربات
MUQARABAT
VIEW FROM A DIFFERENT PERSPECTIVE
8
2022

Psychology, Religion & Life ...

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2022